﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: 102]

❁ مُناسَبةُ الآيَةِ لِمَا قَبلَها:

ذكـــرُ الأدلَّـــة الكونيَّة لتجليَّات الرُّبوبيَّة توطئةٌ للأمرِ بالامتِثال لمقتضى الألوهيَّة

بعدَ أن ذَكَرَ في الآيات السَّابقةِ جُملَةً منَ الأوصاف الإلهيَّةِ كَقَولِه: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ [الأنعام: 95]، وقوله: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: 96]، وقوله: ﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الأنعام: 98]، وقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام: 101]؛ فقد نَبَّهَ هُنا مخاطبًا النَّاسَ إلى أنَّ مَن كانت هذه أوصَافُهُ؛ فهو إلهُكُم، وهُوَ وَحدَه مَن يَستَحِقُّ أن يُعبَدَ دونَ غَيره، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾، فوقعتِ الآيةُ موقعَ التَّعريفِ والبيانِ لِمَا يستحقُّه اللهُ ربُّ العالمين، فكانتِ الأوصافُ السَّابقةُ أدلَّةً شاهدةً على الاستحقاقِ الرَّبَّانيِّ؛ ليكونَ الأمرُ بالعبادةِ مبنيًّا عليها، فالتَّناسبُ بينها وبين الآياتِ السَّابقةِ تناسبٌ عقليٌّ إقناعيٌّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَٰلِقُ﴾: جَذْرُ الكَلِمَة هو (خَلَقَ)؛ والخَليقةُ: الطَّبيعَةُ والخَلْق، والجَميعُ: الخَلائِقُ[1]، وأصلُ الخَلقِ: التَّقديرُ، وخَلقَ الخَيَّاطُ الثَّوبَ: قدَّرهُ قبل القَطْعِ، ومنَ المجاز: خلقَ اللهُ الخلقَ: أوجده على تقديرٍ أوجبتْهُ الحكمةُ، وهو ربُّ الخليقةِ والخلائق[2]، قال الأزهريُّ: ولا تَجوزُ هذه الصِّفَةُ بالألِفِ واللَّام لغيرِ الله تعالى[3].

(1) الفراهيديّ، العين: (خلق).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (خلق).
(3) الفيُّومي، المصباح المُنير: (خلق).

2) ﴿وَكِيلٌ﴾: جذرُ الكلمة هو (وكل)، والوكيلُ: فَعيلٌ بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النّساء: 81 - 132 - 171]، أي: اكتَفِ به أن يتولَّى أمرَك، ويتوكَّل لك، وعلى هذا قوله: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: 173]، والتَّوكُّلُ يُقال على وجهين: يُقال: توكَّلتُ لفلانٍ، بمعنى: تولَّيتُ له، ويُقال: وكَّلتُهُ وتوكَّل لي، وتوكَّلتُ عليه بمعنى: اعتمدْتُهُ، قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٢٢﴾ [آل عمران: 122 - 160] و[المائدة: 11][1]، وهذا هو المرادُ في الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تناولتِ الآيةُ الدَّعوةَ إلى التَّوحيدِ وعبادةِ اللهِ وحدَه؛ لأنَّه سبحانه خالقُ كلِّ شيءٍ، ولا يماثله شيءٌ، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾؛ أي: الَّذي خلقَ هذه المخلوقات، وقدَّرَ أرزاقَها، ونسَّقَ أشكالَها، وجعلَها مُنسجمةً فيما بينها، الَّذي فعل هذا كُلَّه هو ربُّكم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، يعني: لا معبودَ بحقٍّ سواهُ، فهو: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، فمَن خلقَ كلَّ شيءٍ هو وحدَه مَن يستحقُّ العبادةَ، لا أحدَ غيرُهُ، فجاء الأمرُ بعبادتِه سبحانه.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾؛ فهو الوكيلُ بعبادِه رزقًا ورعايةً وحفظًا وتربيةً؛ إذ تقومُ الخلائقُ بإرادته سبحانه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

فائدةُ استعمالِ اسمِ الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾:

استُعمِلَ اسمُ الإشارةِ: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارةً إلى المنعوتِ بما ذُكر من جلائل النُّعوتِ، وما فيه من معنى البُعدِ؛ للإيذانِ بعلوِّ شأنِ المُشَارِ إليه، وبُعدِ منزلتِهِ في العِظَم[2]، وللتَّنبيهِ على ربطِ السَّابقِ باللَّاحقِ،

تقريرُ وجوبِ عبادةِ الله تعالى بما استحقَّهُ من صفاتِ الكمالِ، وسماتِ الجمالِ

(1) الرّاغب الأصفهانّي، المفردات: (وكل).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/169.

وبيانِ ترتُّبِ اللَّاحقِ على السَّابق؛ فدلَّ ما تقدَّمَ من ذِكرِ الأخبَارِ والصِّفاتِ الخاصَّة باللهِ تعالى على أنَّ المُشارَ إليه هو الأهلُ لهذه الصِّفات، والمعنى: ذلِكُمُ الموصُوفُ بتلكَ الأوصاف السَّابقةِ من كونِهِ بَديعًا، مُتَفَرِّدًا بالألوهيَّة، خالِقَ الموجوداتِ، عالمًا بكلِّ شَيءٍ، ناظرًا في مصالحكم[1]، فلا إلهَ للمخلوقين غيرُه سبحانه فعلى المُخاطَبين - أصحابِ العقولِ - أن يُدركوا أنَّهم واقعون في دائرة قدرتِهِ المطلقةِ، ومساحةِ خلقِهِ الشَّاملة للمخلوقات كلِّها.

بلاغةُ الالتفاتِ في قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾:

مباغتةُ المخاطَبِ المأفونِ مؤثِّرٌ في النَّفسِ محرِّكٌ للعقلِ

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ التفاتٌ منَ الغيبةِ في قولِه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: 100] إلى الخطابِ، والمخاطَبون هم المشركون، وقصدُ الالتفاتِ مباغتتُهم؛ فإنَّ تعدادَ صفاتِ اللهِ - ﷻ - مع ذكرِ فعلِ المشركين باتِّخاذهم شركاء ممَّا خلق اللهُ مع تقريرِ تلك الصِّفاتِ العظيمةِ، يجعلُهم في حيِّز المرذول، فحسُنَت حينئذٍ المباغتةُ في الخطابِ، لِمَا لها من وقعٍ في نفوسِهم، وبيانِ حالِهم المأفون.

براعةُ الإيجازِ بالاكتفاءِ بذكرِ رُكنيِ الإسنادِ في قولِه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾:

في ذكـرِ لفظِ الجلالةِ كفايةٌ عن كلِّ وصفٍ، وإيجَازٌ عن كلِّ وصفٍ

ممَّا يقتضيه ظاهرُ التَّعريف ذكرَ صفاتِ المعرَّفِ به قبلَ ذكره، وقد عدل النَّظمُ عن ذلك فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، ولم يقُل: ذلكم الفاطرُ الخالقُ والعليمُ هو اللهُ، فلفظُ الجلالةِ المُشارُ إليه هُو الموصُوفُ بالصِّفَاتِ المُضمَّنَةِ بالأخبار المُتَقدِّمَة، ولذلك استُغنِيَ عنِ اتِّباعِ اسمِ الإشارة ببيانٍ أو بَدَلٍ، والمعنى: ذَلِكُمُ المُبدِعُ للسَّمواتِ والأَرضِ، والخالِقُ كُلَّ شَيءٍ، والعَليمُ بكُلِّ شَيءٍ هو اللهُ[2]، فكان قولُه: ﴿ٱللَّهُ﴾ استحضارًا لكلِّ الصِّفاتِ السَّابقةِ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/605.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/412.

فائدةُ الإخبارِ بقولِه: ﴿رَبُّكُمُ﴾ بعد الإخبارِ باسمِ اللهِ الأحسنِ:

إبطالُ اعتقادِ المخاطَبين أن يكونَ لهم ربٌّ سوى اللهِ تعالى

على إعرابِ قولِه: ﴿رَبُّكُمُ﴾ خبرًا بعد خبرٍ، نوعُ قصرٍ، وفائدتُه: اختصاصُ الرُّبوبيَّة به سبحانه وغرضُه إبطالُ اعتقادِ أن يتَّصفَ أحدٌ بمقتضياتِ الرُّبوبيَّة سواه سبحانه فإثباتُ الرُّبوبيَّةِ هو إثباتٌ لمقتضياتِها، وعلى رأسِها الألوهيَّةُ والطَّاعةُ والخضوعُ والتَّوحيدُ، فموقعُ هذه الجملةِ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ هو موقعُ القاعدةِ لمَا سيأتي بعدَها منَ الأمرِ بالعبادَةِ، فإنَّ التَّخليةَ قبلَ التَّحلية.

دلالةُ إضافةِ (ربّ) إلى ضميرِ المخاطَبين:

الخطابُ القرآنيُّ مبنيٌّ على القيَمِ الهدائيَّة والإشاراتِ التَّبشيريَّة

في إضافةِ (ربّ) لضميرِ المخاطَبين في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ دليلٌ من أدلَّة الرُّبوبيَّةِ الحقَّةِ؛ فإنَّ اللهَ الَّذي خلقَ الخلقَ يخاطِبُهم بقولِه: ﴿رَبُّكُمُ﴾؛ ليدلَّ على قُربِه منهم، ورعايتِه لهم، وفي ذلك استمالةٌ للقلوبِ، وتقريبٌ للنُّفوسِ، وهو من أعظمِ الأدلَّةِ على أنَّ الخطابَ القرآنيَّ هو خطابٌ تقريبيٌّ تبشيريٌّ مبنيٌّ على القيَمِ الهدائيَّةِ.

غرضُ الحَصرِ في قولِه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

مَنِ اتَّصفَ بصفاتِ التَّفرُّدِ والكمالِ فهُوَ الإلهُ المُستحقُّ للامتثالِ

غرضُ القصرِ في قولِه تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إفرادُ اللهِ تعالى بالألوهيَّة، فقد بيَّن تعالى في هذه السُّورةِ بالدَّلائلِ الكثيرةِ افتقارَ الخلقِ إلى خالقٍ ومُوجدٍ ومُحدِثٍ ومبدعٍ ومُدبِّرٍ[1]. وحَصَرَ الأُلوهيَّةَ فيه، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فهو وَحدَه سبحانه إلهُ الكائناتِ والموجوداتِ، لا شَيءَ قبلَهُ ولا شيءَ بَعدَه، وهو الَّذي يستحقُّ العبادةَ الحقَّة.

غرضُ التَّكرارِ والتَّمدُّحِ في وصفِهِ بـ ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾:

جاءَ قولُه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ في سياقِ المدحِ والثَّناءِ على نفسِه سبحانه فكرَّرَ قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ بعدَ قولِه في الآيةِ السَّابقةِ:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/98.

تنبيهُ العبادِ إلى المستحقِّ حقًّا وصدقًا للعبادةِ

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ لِمَا فيه من بيانِ قُدرَتِهِ سبحانه على الخلقِ والإيجادِ لكلِّ شَيءٍ، مِن لا شَيءٍ؛ إذ أوجَدَ الكونَ كلَّه بعظيم قدرته سبحانه فكانَ غرضُ التَّكرارِ تنبيهًا على القدرةِ، وتعظيمًا للأمرِ، ثمَّ ما أحدثه مِن شدِّ الأذهانِ، والنَّظرِ إلى جميل الصُّنْعِ وبديع الخلقِ، فهو سبحانه خالقُ كلِّ ما سواه[1].

بلاغةُ الاختلافِ في إضافةِ (ربّ) و(خالق) في قولِه: ﴿رَبُّكُمۡ﴾ و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾:

إضافةُ الرُّبوبيَّةِ لاستمالةِ القلوبِ، وإضافةُ الخالِقيَّةِ لإقناعِ العقولِ

اختلف التَّعبيرُ في قولِه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ عن قولِه: ﴿رَبُّكُمۡ﴾، فلم يقُل: (خالقُكُم)، وذلك أنَّه إذا كان الغالبُ في إضافةِ (ربٍّ) إلى ضميرِ المُخاطَبين هو استمالةُ القُلُوبِ - كما سَبَق - فإنَّ الغالبَ في إضافةِ (خالق) إلى ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ هو إقناعُ العقولِ، فهو سبحانه ليس خالقًا لهم فحسبُ، بل هو خالقٌ لكلِّ شَيءٍ ينتفعونَ به في حياتِهم، ممَّا تتصوَّرُه عقولُهم، وما لا تبلُغُه قوى الإدراكِ عندَهم، وهذا أقوى في الإقناعِ، وأرسخُ في العقلِ.

براعةُ التَّرتيبِ في قولِه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾:

إقناعُ العقولِ ركيزةٌ قرآنيَّةٌ وقاعدةٌ رحمانيَّةٌ موصلةٌ للحقِّ والهدى

جاءتِ الآيةُ بترتيبٍ بديعٍ، فابتدأَتْ بقولِه: ﴿ٱللَّهُ﴾ باعتبارِه العَلَمَ الأعرفَ، وما بعدَه مبنيٌّ عليه، ثمَّ بقولِه: ﴿رَبُّكُمۡ﴾، فإنَّ الرُّبوبيَّةَ مقدِّمةُ الألوهيَّة، فمَن عَلِمَ ربَّه عبَدَه، ثمَّ بقولِه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأنَّه غايةُ الإخبارِ، ثمَّ بقولِه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ لأنَّه دليلُ التَّوحيدِ الخاصِّ، فإنَّ مَن خَلَقَ؛ استَحقَّ أن يُعبَدَ دون سِواه، فتوسَّطَتِ الألوهيَّةُ بين الرُّبوبيَّة والخالقيَّة؛ لتأكيدِ المستحقِّ للعبادةِ، فذكرتِ الآيةُ: الاسمَ الأحسنَ، فالرُّبوبيَّةَ، فالألوهيَّةَ، فالخالقيَّةَ، بترتيبٍ بديعٍ مُقنِعٍ للعقول، وعلى هذا التَّوجيه للمعاني، فأنسبُ إعرابٍ هو أن

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/98.

تكونَ هذه الرُّباعيَّةُ أخبارًا لاسمِ الإشارَةِ، أي: ذلك الموصوفُ بتلك الصِّفاتِ العظيمةِ، هو اللهُ المستحِقُّ للعبادة خاصَّةً، مالكُ أمرِكم، لا شريكَ له أصلًا، خالقُ كلِّ شيءٍ ممَّا كانَ، وممَّا سيكون[1].

قـــوَّةُ تـعـلُّـقِ المـــذكـــوراتِ بعضها ببعضٍ يجعلُها كالاسم الواحد

وفي قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ترتيبٌ بديعٌ آخر، وهو ذكرُ اسم الله الأحسنِ، ﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذي هو عنوانُ توحيدِ الألوهيَّةِ، ثمَّ ﴿رَبُّكُمۡۖ﴾ الَّذي هو عنوانُ توحيدِ الرُّبوبيَّةِ، ثمَّ كلمة التَّوحيدِ الَّتي هي أخصُّ صفاتِ اللهِ تعالى ثمَّ ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ الَّتي هي أخصُّ صفاتِ الرُّبوبيَّة، فالآيةُ جاءَت وفقَ ترتيبٍ أنيقٍ، كأنَّها تخاطِبُ النَّاسَ: اللهُ ربُّكم واحدٌ خالقٌ، فاعبدُوه، وفي هذا التَّرتيبِ سرٌّ جماليٌّ آخرُ، وهو أنَّه يصحُّ أن يكونَ - من حيثُ المعنى لا من حيثُ الإعرابُ - كلٌّ منَ الألفاظِ الثَّلاثةِ خبرًا لاسم اللهِ الأحسنِ، كما كان لفظُ الجلالةِ خبرًا لاسمِ الإشارةِ، فاللهُ ربُّكم، واللهُ واحدٌ، واللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ، ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، فالضَّميرُ يعود على لفظِ الجلالةِ المتَّصفِ بالمذكوراتِ - من حيثُ المعنى - أي: فاعبُدُوا اللهَ الَّذي هو ربُّكم الواحدُ الخالقُ، وهذا ما جَعَلَ بعضَ المُعربين يذهبونَ إلى أنَّها تقومُ مقامَ الاسمِ الواحدِ؛ لشديد تعلُّقِ بعضِها ببعضٍ، فهي كالخبرِ الواحدِ لاسمِ الإشارةِ[2].

دلالةُ الفاءِ في قولِه: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾:

الأمـرُ بالعبادةِ مُترتِّبٌ على إثباتِ الاستـحـقـاقِ الحقِّ

الفاءُ مترتِّبةٌ على مضمونِ الجملةِ، فإنَّ مَن جمع هذه الصِّفاتِ؛ كان هو المستحقُّ للعبادةِ خاصَّةً[3]، فهوَ المَالِكُ لِكُلِّ شيءٍ، منَ الأرزاقِ والآجالِ، قيُّومٌ على خلقِه، وأنَّه رقيبٌ على الأعمالِ، مُجزٍ عنها، كلٌّ بحسب ما يستحقُّ[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/196.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 5/91.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/196.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/605.

وذهب ابنُ عاشور إلى أنَّ جملةَ: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ مفرَّعَةٌ على قوله: ﴿رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾؛ فالأمرُ بعبادتِهِ مفرَّعٌ على وصفِهِ بالرُّبوبيَّة والوحدانيَّة؛ لأنَّ الرُّبوبيَّةَ تقتضي استحقاقَ العبادة، والانفرادُ بالرُّبوبيَّةِ يقتضي تخصيصَه بالعبادةِ، وفُهِمَ هذا التَّخصيصُ منَ التَّفريع[1]، أي: فاعبدُوه دون غيرِه ممَّا تُشركون، فاقتضى التَّفريعُ تفعيلَ الجانبِ العمليِّ من تلكَ المعرفةِ بربوبيَّتِهِ وألوهيَّتِهِ سبحانه فتأتي العبادةُ لإكمالِ مشهدِ الرُّضوخِ الكاملِ له سبحانه.

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ في تقديم كلمةِ التَّوحيدِ في الأنعامِ، وتأخيرِها في غافر:

السِّياقُ أصلٌ في توجيهِ ظاهرةِ التَّقديمِ والتَّأخيرِ في القرآنِ الكريمِ

تقدَّمَ في هذه الآية قولُه تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ على قولِه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وفي سورة غافر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ [62]، على عكسِ وُرودِها هنا، ولمعرفةِ جوابِ ذلك لا بدَّ منَ النَّظرِ في سياقِ الآيتَين، أمَّا هنا؛ فجاءَ في السِّياقِ قولُه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [الأنعام: 100]؛ فورَدَ فيها قبله ذكرُ الشُّركاء، والبنين، والبنات، فدفع قولَ قائلِه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[2]؛ إذ نَاسَبَ تقديمُ كلمةِ التَّوحيد النَّافيةِ للشِّرك ردًّا على المُشركين، ثمَّ ذكرَ الخلقَ؛ لأنَّه دليلُ التَّوحيدِ، فهي توطئةٌ للأمرِ بالعبادةِ، بَينَما في سورةِ غافرٍ لمّا تقدَّم كونه سبحانه خالقًا: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: 57]، وما بعدَها منَ الآياتِ؛ فناسبَ تقديمُ ذكرِ الخلقِ على كلمةِ التَّوحيد[3]، ثمَّ إنَّ ذكرَ الخلقِ جاءَ بعد ذكرِ الرُّبوبيَّةِ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾، فهي من بابِ ذكرِ الخاصِّ بعد العامِّ، ولأنَّها توطئةٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/413.
(2) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: 1/197.
(3) الكنانّي، كشف المعاني في المُتشابه منَ المثاني، ص: 164 - 165.

لذكرِ التَّوحيدِ، وذمٍّ مَن يُنكِر ذلك؛ لذلك فرَّع عليها قولَه: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣﴾ [غافر: 62 - 63] دون الأمرِ بالعبادةِ.

توجيهُ أغراضِ الأمرِ في قوله: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾:

إفرادُ الله وحدَه بالعبادَة عن سائرِ خلقِه

وَجهُ الأمرِ في قولِه: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ أنَّ المشركين كانوا مُعرِضين عن عبادة اللهِ تعالى إذ لا يتوجَّهُون بأعمال البرِّ في اعتقادهم إلَّا إلى الأصنام، فلذلك أُمِرُوا بالعبادةِ صراحةً، وأُمِرُوا بالاقتصار عليها إيماءً بالتَّفريعِ، فهم يَزُورُون أصنامَهم، ويُقرِّبُون إليها القَرابينَ، ويَنْذِرُونَ لها النُّذُورَ، ويستعينُون بها، ويستنجِدُون بِنُصرَتِها، وما كانوا يذكرون اللهَ إلَّا في موسم الحجِّ، مع إشراكهم الأصنامَ بتلك العبادةِ[1]، فجاء الأمرُ بعبادة اللهِ وحدَه تعريضًا بالنَّهي عن أفعالِ المُشركين بعبادة أصنامهم، فقال: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾؛ لأنَّه استحقَّ العبادةَ منهم، فهو الخالقُ، وخالقُ الموجوداتِ كلِّها.

معنى العطفِ في قولِه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾:

العطفُ إمَّا من عطفِ الصِّفة على الصِّفة، أو من عطفِ الخبرِ على الإنشاءِ

الواوُ في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ حرفُ عطفٍ، وله توجيهان: **الأوَّل**: أن تكونَ الجملةُ معطوفةً على الصِّفات المتقدِّمة، أي: وهو مع تلك الصِّفات متولِّي أمورَكم، فَكِلُوهَا إليه، وتوسَّلُوا بعبادتِه إلى إنجاحِ مآرِبِكم، فهو الرَّقيبُ على أعمالِكم، فيجازيكم عليها[2]، وعليه فتكونُ جملةُ ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ مُعترِضةً، **الآخر**: أن تكون جملةُ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ معطوفةً على جملة: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ من باب عطف الخبرِ على الإنشاءِ، فتكون العبارةُ تكميلًا تعليليًّا لعظيم قدرةِ اللهِ المستحقِّ للعبادة[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/413.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/176.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/413.

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرور في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾:

تشويقُ المخاطَبِ لسماعِ الخبرِ أدعى لثباتِه في ذهنِه

جاءَ نظمُ الآيةِ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾، وأصلُ الكَلامِ في الظَّاهرِ: (وهو وكيلٌ على كلِّ شيءٍ)، فعدَلَ عن ذلك، فأخَّرَ ذكرَ صفةِ اللهِ (الوكيل)، وقدَّم ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، تشويقًا للسَّامعِ، فإنَّ السَّامعَ بعد ذكرِ تلك الصِّفات العظيمةِ يتشوَّفُ لسماعِ الصِّفةِ الَّتي ستُذكَرُ بعدها، ولاسيَّما بعد ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ فإذا كانَ خالقًا سبحانه لكلِّ شيءٍ، فما هي الصِّفةُ الَّتي ستُذكَرُ بعد ذلك؟ هل هي صفةُ القدرةِ؟ وهذا أدعى لثباتِ هذه الصِّفةِ في ذهنِ المخاطَب، وأبينُ لمقامِها.

دلالةُ استعمالِ ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ بدلًا منَ الاقتصارِ على العبادِ:

رعايةُ اللهِ وحفظُه لعبادِهِ تشملُ كلَّ مخلوقاتِه

جيءَ بلفظِ ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ولم يقُل: (وهو عليكُم وكيلٌ)؛ لبيانِ أنَّ حفظَه سبحانه ورعايتَه لعبادِه لا تقتصِرُ على ذواتِهم، بل إنَّها تشمَلُ كلَّ شَيءٍ مُتَّصلٍ بهم، فهو وكيلٌ عليهم، وعلى جميعِ المخلوقاتِ، وهذا أبينُ في شمولِ رعايتِه لهم، وأقوى في الامتنانِ على عبادِه.

سرُّ اختيارِ اسمِ الله الوكيلِ في قولِه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾:

تعليلُ استحقاقِ اللهِ للعبادةِ دون سِواه

اسمُ اللهِ الوكيلُ جامعٌ لمعنى الحفظِ والرَّقابةِ[1]، فكان ذكرُ الوكيلِ مُورِّثًا للطُّمأنينةِ في نفوسِ المخاطَبين، فاللهُ خلقَهم من عدمٍ، وربَّاهم، ورعاهم، وهو وكيلٌ على كلِّ شيءٍ، فلا يترُكُهم بدون حفظٍ ورقابةٍ، فذِكْرُ هذه الصِّفةِ بعد الأمرِ بالعبادةِ تعليلٌ لاستحقاقِهِ العبادةَ دون سواهُ، أي: إنَّ حفظَ اللهِ للعبادِ ورقابتَهُ مستمرَّانِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/413.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»